

فسحة أفكار ... الأسرة ومواضيع أخرى

تشهد المجتمعات المعاصرة اليوم تحولات عميقة وتغيرات متسارعة مست مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية، تغيرات غذاها التطور التكنولوجي وتنامي استخدام وسائل وتكنولوجيات الاتصال والمعلوماتية، ولعل الأسرة بشكلها البسيط المتكون من زوج وزوجة وأبناء أو ما يطلق عليه "الأسرة النووة"، هي الخلية الأولى والوحدة الأساسية في البناء الاجتماعي، تتأثر هي الأخرى بما يحيط بها من ظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية للمجتمع وتؤثر في البناء الاجتماعي كله، عن طريق ما تورثه وتنقله للأبناء من صفات وخبرات أسرية وتراث ثقافي للآباء والأمهات مما يمنح للفرد هويته واعتباره الاجتماعي، وهما تطور وتقلص شكل الأسرة البنائي والوظيفي إلى الأسرة النووة، فإنها تظل أعظم جماعة إنسانية تؤثر في حياة الفرد والمجتمع.

ويعد موضوع أدوار الأسرة ووظائفها من الموضوعات التي شغلت المختصين في حقل السوسولوجيا قديما وحديثا، إلا أن التحولات المذكورة آفا قد ألفت بظلالها على الأدوار الوظيفية للأسرة الجزئية، بدأ من التغير الذي حصل على الوظيفة البيولوجية بأشكال عديدة تتجسد في "أطفال الأنابيب" و "تأجير الأرحام" وغيرها، وبعدما كان الزواج في شكله الأصيل واعتباره العرفية والاجتماعية وباشرط السن القانوني وحضور الولي الشرعي للمرأة، تشهد هذه الرابطة المقدسة تحولات ومظاهر منافية لذلك تماما، مما أباح للعديد من الأفراد تجاوزات خطيرة أصبحت تهدد بنيان المجتمع وأسس، والتغير الأخطر هو ذلك الذي مس منظومة القيم وأساليب الضبط الاجتماعي والتنشئة الأسرية وكذا السلطة الوالدية، وعندما انسحبت الأسرة من قيامها بأدوارها الأساسية موكلة إياها لمؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى كدور الحضانة والمربيات وغيرها، وانشغال الوالدين بالعمل وتحقيق الأمن الاقتصادي للأسرة، حدث الفتور العاطفي سواء بين الزوجين أو بين الوالدين والأبناء، مما خلق لديهم نقصا وغيابا عاطفيا تتجلى ملامحه في ضعف مظاهر التوافق النفسي والاجتماعي لأفراد الأسرة، أما خروج المرأة للعمل وبمحت الكثيرات عن

المكانة الاجتماعية والاقتصادية الأفضل وتحقيق الذات، وفهم خاطئ للمقاربة الجندرية المبينة على المساواة بين الرجل والمرأة والذي كرسته الترسانة الحقوقية في القانون الجزائري، جعل الوظيفة الاقتصادية للأسرة هي الأخرى تعرف التغيير، فبعدما كان الرجل والزوج هو المعيل الأول في الأسرة تقاسم وتبادل هذا الدور مع الزوجة، وفي بعض الأحيان مع البنت التي تعمل ولو عملاً بسيطاً يؤمن لها دخلاً أبسط، لتنتقل بذلك الأسرة إلى شكل جديد من أشكال الإعالة. وهنا تتضح معالم التحديات التي يمكن أن تواجهها أو تعرفها الأسرة المعاصرة في المجتمع الجزائري، الذي يتمسك بقوة بقيم الأصالة من ناحية، وتجمع في العديد من أبنائه نحو تبني ومسيرة قيم الحداثة من ناحية أخرى.

بيد أن الأسرة ليست الموضوع الوحيد في هذا العدد، إذ تناوب على الإدلاء بما تجود قرائحهم جملة من الأساتذة بمواضيع مختلفة ومتعددة ومتنوعة، ولأن التغيير هو سمة الوجود، ولا يمكن تصور الحياة ضمن وضعية استاتيكية كتبت الباحثة د. أم الخير بدوي* مقالاً بعنوان "التغيير الاجتماعي (رؤية نظرية)"، حاولت من خلاله التعرض للتغيير الاجتماعي ضمن رؤية سوسيولوجية من خلال مفهومه والمصطلحات المقاربة له، ولأهم الاتجاهات الفكرية التي بلورت هذا المفهوم ضمن سياق تاريخي موازي لتطور مفهوم التغيير الاجتماعي، ليتساءل من ليبيبا أد. حسين سالم مرجين رفقة أ. سائلة ابراهيم بن عمران بمقالة عنوانها "هل هناك حاجة إلى أقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية؟"، إذ وبعد مرور حوالي ستين عاماً من تأسيس علم الاجتماع في الجامعات الليبية يظل السؤال القديم الجديد والجوهري يقفز إلى الذهن والذي مفاده هل هناك فوائد جناها المجتمع الليبي من مخرجات علم الاجتماع بعد ستين عام على تأسيسه؟، واستدل بمقولة اقتبسها عن مالك بن نبي رحمه الله "إن العلم الذي لا يترجمه عمل، يظل ترفاً لا مكان له في وطن ما يزال فقيراً في الوسائل والأطر".

* صاحبة لقب "الأولى على دفعة علم الاجتماع" بجامعة بسكرة سنة 2011.

وحيث أن التغير الاجتماعي هو سمة المجتمعات المعاصرة، بكل عوامله وأسبابه وتناججه وتدايعياته فقد كتب بهذا الخصوص من جامعة بسكرة مدير مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة أد. نور الدين زمام رفقة د. سميرة ونجن لافتين إلى أن التغير ينسحب بشكل كبير جدا على الوظيفة التربوية للأسرة، حيث صاغا أفكارهما في مقالة عنوانها "عوامل التحول في الوظيفة التربوية للأسرة" وخلصا إلى أن هذا التغير الاجتماعي أدى إلى تغير في عملية التنشئة الأسرية أو بالأحرى الوظيفة التربوية للأسرة. ورغم أن هذا التغير له نتائج إيجابية لا يمكن نكرانها، إلا أنه وفي ذات الوقت له جوانب سلبية تنذر بمخاطر ومشاكل منها وسائل الاتصال وأجهزة الانترنت والتي تمثل تحديا بالنسبة للأسرة في كيفية مراقبتها مما أدى إلى إضعاف الأدوار التي كانت تقوم بها الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي ذات السياق كتب من جامعة بسكرة أيضا مدير مخبر "الدراسات النفسية والاجتماعية" أد. نصر الدين جابر بمعية د. سلمية حفيظي مقالا حول مؤشرات الصراع الزوجي في الأسرة بسبب تغير الأدوار الوظيفية بين الزوجين، حيث خلاصا في النهاية إلى أن الصراع قائم وضارب في تاريخ الأسر منذ القديم، إلا أن الذي غذاه هو التغير الاجتماعي السريع الذي ألقى بظلاله على باقي بني المجتمع ونظمه ومكوناتها الأصلية والفرعية، حيث استشهادا بقول "حليم بركات" أن "المجتمع العربي بانقسامه إلى عالمين عالم الرجل وعالم المرأة، عالم يكافح فيه الرجل في سبيل تأمين المتطلبات الأساسية للأسرة، وعالم تكافح فيه المرأة داخل البيت وخارجه، إذ لا يزال المجتمع لا يقدر عمل المرأة رغم دخوله عالمه بل وينظر إليه نظرة تنسم بالدونية مع ما تبديه من إبداع وكفاءة عاليتين"، فكفاحها في الجبهتين الداخلية والخارجية لم يسعفها كثيرا في نيل احترامها واستقلالها، ومع ذلك فما من سبيل أمامها لتحسين مكانتها الاجتماعية إلا إصرارها على نيل استقلالها الاقتصادي عن طريق العمل، أما الرجل فيحاول هو الآخر الحفاظ على مكانته الاعتبارية ودوره الأساسي داخل أسرته.

من جهة أخرى كتبت الباحثة المميزة الهادئة المفكرة د. نجاة يحيوي مقالا بعنوان: "دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري للأبناء" حيث أن الأسرة تعد أقوى الجماعات تأثيرا على

الفرد بواسطة شخصيات الأبوين ومختلف مواقفها الحياتية، فيما تشير أعمق التفسيرات النفسانية لسلوك الانحراف إلى انعدام المرجع ولتسيب الأسرة ولتداعي المثل والقيم مما يسقط الفرد في دوامة الضياع، هذا إلى جانب أن الأسرة هي البيئة الثقافية التي ترسم الاتجاهات الأولى للفرد وتمنحه فكرة واضحة المعالم عن ثقافة مجتمعه، في إطار من الضبط الاجتماعي لتحقيق التكيف مع كل ما يحيط به، حفظاً له من الانحراف وذلك عن طريق الإقناع بالحوار ومختلف الأساليب التي يلفها الحلم والحنان والرعاية، هذا وتنتهي الدكتوراة **نجاة مجاوي** إلى أن الأسرة هي المسئولة بالدرجة الأولى على إكساب الفرد مجموعة من المعارف والمهارات والقيم القادرة على تشكيل شخصيته والمساهمة في استقرار نفسيته، مما يؤدي إلى تكوين شخصية مستقلة قادرة على التحليل والنقد والاعتماد على النفس.

وبموضوع مختلف تعالج **د.فتيحة طويل** مسألة بناء الهوية الاجتماعية للأسرة، إذ عنونت مقالها بـ **"دور فعل التدبير المنزلي في تشييد الهوية الاجتماعية للأسرة"**، حيث ركنت إلى تحليل ممارسة الأعمال المنزلية، وإبراز أهمية إدارة الانفعالات في فعل التدبير المنزلي، وما يحققه من تنشئة اجتماعية تساهم في جودة الحياة الأسرية، والذي يرمز إلى تقاطع بين ترتيب الأشياء الروتينية وبين التصميمات العقلية، التي تحدد الذكاء الجسمي والحواسي، والاسترسال في الأفكار لتسيير الحركات المنزلية، والتعامل مع الأغراض التي نودع فيها جزء من هويتنا الاجتماعية، ونشيد عاداتنا ضمن نمط أسري مستقر، بفضل إدارة الحركات والمهام والأشياء، بكمية من البدائل الممكنة من الفعل اليومي، لخلق أسلوب منظم ومرتب للعيش، يرافقه الشعور بالسعادة والرضا عن الوضع في الحياة داخل الأسرة. بيد أن **د.سامية ابرييم** من جامعة أم البواقي عالجت مسألة عُدّت لسنوات من الطابوهات التي يستحي المجتمع الخوض فيها، إذ عنونت مقالها بـ **"العوامل المؤدية إلى التحرش الجنسي بالمرأة في المجتمع الجزائري من وجهة نظر عينة من الطالبات في جامعة أم البواقي"** لتخلص في النهاية إلى وجود أسباب كامنة وراء التحرش الجنسي، حيث احتلت الأسباب الإعلامية المرتبة الأولى، ثم جاءت الأسباب الشخصية والتي تتمثل في الإحباط والحرمان والشعور باليأس وقلق المستقبل، متقدمة على الأسباب الأسرية والتي تتمثل بشكل خاص

في سوء العلاقة مع الوالدين والصراع بين الأجيال ولا ننسى التفكك الأسري، ثم جاءت الأسباب الدينية والتي تتمثل في تدنى مستوى الخدمات المقدمة للأفراد من قبل المؤسسات الدينية، ثم كانت الأسباب الاقتصادية آخر الأسباب من وجهة نظر الطالبات الجامعيات التي تتسبب في انتشار ظاهرة التحرش الجنسي بالمرأة الجزائرية، وبكل تواضع نوهت الباحثة إلى أن النتائج التي آلت إليها دراستها تعتبر مجرد محاولة فقط لسبر أغوار هذا العالم الذي ما زالت تكتنفه العتمة والتعتيم من قبل المجتمع، وعطفا على ذات الموضوع ومن جمهورية مصر العربية كتب الباحثان السوسولوجيان هدى أحمد الديب ومحمود عبد العليم محمد سليمان مقالا تحت عنوان: "إيذاء النساء باثولوجيا التحرش الجنسي الإلكتروني بالمرأة" إذ توها سوية إلى ظاهرة جديدة هي ظاهرة التحرش الإلكتروني، من خلال تحديد ماهيتها وأماطها وأثارها وكيفية مواجهتها، ولعل الدافع الرئيس لبحث ومقاربة هذه الظاهرة هو ما تعانيه الكثيرات من مستخدمي شبكة الإنترنت من تعرضهن لأشكال مختلفة من المضايقات، بدءًا من الإحاح بالتعارف من أشخاص غير معروفين لديهن، أو تعرضهن للملاحقة والتعقب من جانب آخرين ممن لديهم خلافات شخصية معهن. أو رسائل تحتوي على العبارات التي تجاوزت حد المعاكسة أو محاولات التعارف واتجهت أحيانًا إلى عرض صور جنسية وأرقام هواتف وعناوين كعروض لممارسة الجنس بشكل صريح، وفي النهاية استعرضنا بعض الآليات واقتراحا بعض الخطوات التي يمكن من خلالها مواجهة التحرش الإلكتروني.

وبخصوص إحدى أقدم أساليب التربية كتبت الأستاذتان كوثر ابراهيمي وسهيلا بوعمر من مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية-جامعة بسكرة مقالا ذا عنوان "العقاب البدني للطفل بين العنف والتربية" حيث هدفنا إلى توصيف العقاب البدني من حيث مفهومه ومدى انتشاره محليا وعربيا وعالميا، وطرحنا مسألة كون هذا الأسلوب تربوي أم تعنيفي من خلال عرض لما توصلت له الدراسات من تأثيرات العقاب البدني على الطفل، مع وضعها في إطار الانتقادات التي وجهت لها، هذا ويعود بنا د. بلقاسم الحاج من جامعة برج بوعريش إلى مسألة الأدوار الوظيفية داخل الأسرة بورقة بحثية أسماها: "أثر خروج

المرأة إلى العمل على تغير الأدوار المنزلية في الأسرة الجزائرية"، حيث تعرض للتغير الاجتماعي الذي لحق الأسرة بفعل الانتقال من النمط الممتد إلى النمط النووي (الزواجي)، وما رافق هذا التغير البنائي تغيرا وظيفيا شمل مختلف الوظائف والعلاقات الأسرية. إذ خلص إلى نتائج عديدة من بينها إن الهدف الأساسي للمرأة المعاصرة هو التعليم ثم يأتي بعده تكوين أسرة مستقلة، فالتعليم يشكل الوسيلة الأساسية لتحرر المرأة، لذلك نجد أن المرأة الجزائرية بعد الاستقلال استطاعت تحقيق مستويات تعليمية أرقى سمحت لها بممارسة نشاطات مهنية وبالتالي تحقيق نوع من الاستقلالية الاقتصادية، الأمر الذي أغناها عن الزواج المبكر وأدى بالمقابل إلى ارتفاع معدل سن الزواج.

وفي إطار باهت حاولت الأستاذة هناء نور الهدى ببروق من جامعة قسنطينة أن تضع صورة الأب من خلال آراء بعض المراهقين الجانحين، إذ كتبت مقالها الموسوم: "صورة الأب ودورها في ظهور الجنوح لدى المراهق (دراسة ميدانية بمركز إعادة التربية بولاية قالمة)" حيث آلت دراستها إلى جملة من النتائج من بينها:

- الحرمان والإهمال العاطفي الوالدي وما يصاحبه من تأثير سلبي على النمو النفسي للمراهق يفقده الإحساس بمكانته في أسرته وكذا بحبهم له وبناتائه إليهم يدفع المراهق نحو الجنوح.

- نمط الأب المستقيل الذي لا يؤدي دوره الأبوي ولا يقوم بواجباته نحو ابنه المراهق فيغيب لديه النموذج الذي يتقمه ويتوجه للبحث عنه مما يدفعه نحو الجنوح.

- الصورة السلبية التي يرسمها المراهق عن أبيه ينتج عنها شخصية قلقة متمردة، ضد اجتماعية، عدوانية، لا تتقيد بالقواعد مما يدفع بها نحو الجنوح.

وتحت عنوان: "سيرورة العمل النقابي في الجزائر (دراسة سوسيو- أنثروبولوجية)" ومن نمط آخر من المقالات تنجح د. نادية سماش من المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الكراسك وهران إلى الكتابة عن العمل النقابي في الجزائر، إذ ترى بأن الشريحة العاملة هي ركيزة البناء الاجتماعي، وعليه فإن النقابة العمالية تعتبر تنظيما اجتماعيا اختياريا ينظم إليه العمال طواعية بغية توحيد صفوفهم وتعبئة قوتهم من

خلال العمل الجماعي لمقاومة عمليات استغلالهم، كما يهدف إلى محاولة تحسين الأوضاع الاقتصادية للعمال فهي أيضا "مذهب" يدعو إلى إحلال سيطرة العمال المنظمين في النقابات محل سيطرة الرأسماليين بحيث تصبح نقابات العمال أساسا للإدارة الصناعية، وإلى قيام نقابات العمال بحركة ثورية مستخدمة العنف لتحقيق أهدافها، مع رفض الاشتراك في الانتخابات والأساليب النيابية ومن هنا يمكن القول أن الحركة العمالية ونشأة العمل الجماعي ارتبطتا بنشأة الطبقة العاملة وتطورها تاريخيا حتى بداية الثمانينات من القرن العشرين، حيث ظهرت طبقة عمالية جديدة ذات خصائص تميزها عن نمطها التقليدي من خلال تفاعلها مع ظاهرة العولمة، فيما يستدرج الفيسبوك من جامعة الجزائر 03 د.نور الهدى عبادة لتكتب مقالة تحت عنوان: "الطلبة الجامعيون الجزائريون وموقع الفيسبوك- دراسة في عادات وأنماط استخدام عينة من طلبة كلية علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر3"، حيث أفضت جهودها إلى بعض النتائج أهمها أن معظم الباحثين يتفاعلون عبر هذا الفضاء الافتراضي الجديد مع أصدقاء من نفس محيطهم الاجتماعي أو من مجتمعات أخرى، وأن أغلب الطلبة محل الدراسة يمتلكون خبرة لا بأس بها في استخدام الموقع حُددت في ثلاث سنوات وبمعدل أكثر من ثلاث ساعات يوميا، ويتصفح أغلبهم الموقع لأكثر من ثلاث مرات يوميا وباستخدام وسيلة الهاتف النقال ما يدل على أنهم يحتكون احتكاكا كبيرا به من خلال حرصهم على البقاء في حالة اتصال دائم ومن أي مكان. كما مكّن الفيسبوك معظم الباحثين من ربط علاقاتهم الحقيقية بالعالم الافتراضي مما جعلها أكثر قوة ومتانة، على اعتبار أن معظم أصدقاء الباحثين عبر الموقع تعرفوا عليهم خارج استخدامه وعمقوا صداقتهم عبره.

ومن قبيل آخر من الكتابات اجتهدت الأستاذة فاطمة الزهراء حاج عتو من شعبة اللغة الفرنسية بجامعة بسكرة في كتابة مقال بالفرنسية يحمل عنوان:

"Cohésion et cohérence textuelle"

خصته لظاهرة التماسك والاتساق النصي الذي يحظى بمكانة بارزة في علوم اللغة، وخاصة في تحليل الخطاب والنص، ذلك أن مفهوم التماسك يشير إلى الاستمرارية والدلالات

واللغويات بين البيانات. من ناحية أخرى، الاتساق يتميز بالمقاربة التي تؤكد دور المتلقي في تفسير النص، حسب معلوماته. في الواقع، ويسهم هذان المفهومان في التكوين النصي من خلال أدوات لغوية مثل نظام المراجع والروابط المنطقية..

بهذه الحزمة من الأفكار التي صنفها الباحثون ضمن مقالات نراها جيدة غلب عليها الطابع التربوي الأسري ضمن فسحة ارتأتها هيئة التحرير فرصة لأي متحدث أو مفكر ليبدلي بما لديه، فشكرا لمن ساهم ولمن فكر في المساهمة.

عن طاقم التحرير

و.ميمونة مناصرية و.وسليمة حفيظي

